
الزمان -السنة الثامنة - العدد 2270 الاثنين 26 من شوال 1426 هـ 28 من تشرين الثاني (نوفمبر) 2005م
r Vol.8. Issue 2270 Monday 28/11/2005

العلامة الدكتور نوري جعفر 2-1

قدرات كامنة تضمنتها شخصية عراقية فذة

ياسر جاسم قاسم

كاتب من العراق

تتوافد القدرات الكامنة منتجة اناساً عبر التاريخ يكون لهم صدى بارز فيه وتتواجد هذه القدرات نتيجة التراكمات المعرفية المتعاقبة على إدارة دفة الحكم الثقافي إن صح التعبير وتتم معرفتها من خلال غزارة الإنتاج وعظمة الفكر المستلهمة من مساقي المعرفة المتواجدة في حقول الانفتاح البشري وبالنتيجة فإن الخوض في غمار هذه الشخصيات المعرفية لهو من الصعب المستصعب وذلك إذا لم يثبت الباحث قدمه بشكل واضح في حقل من حقول هذه الشخصية لأن الخوض في غمارها الكلي بدون وضع خطط مدروسة لدراسة هذه الشخصيةاو تلك سيسبب بالنتيجة عدم قدرة الباحث على تطويع مسالك الإنتاج المعرفي المستلهم من تلك الشخصية وهكذا الحديث عن شخصية العلامة الدكتور نوري جعفر هذه الطاقة الكامنة العراقية المحتوى التي ما فتئت ان تنتج مكارم المعارف إلا وقد وضعت لها أساليب جمة للخوض فيها إن شخصية الدكتور العلامة نوري جعفر قد انفردت بمزايا عدية لا يستطيع شخص الباحث استلهامها كلها فحياته التي امتدت من عام 1914 وحتى 1991 لها وفيها مديات مشرقة كثيرة انفرد بهذه المزايا التي تخصص فيها دون غيره فعلى سبيل المثال كان له خزين تربوي وتاريخي وادبي ومعرفي ضخم ولا سيما في مجال التربية - محور الاختصاص له ولذلك امتلك الرجل بحق قابلية علمية زاخرة بالمعرفة والعمق والشمول والاحاطة إلا ان القارئ لكتب نوري جعفر يلمس ظاهرة التكرار في كتاباته فمؤلفاته اللاحقة تكرر مؤلفاته السابقة جزئياً او كلياً احياناً وهذه الظاهرة قد فسرها الدكتور نجاح كبة بمحورين:-

المحور الأول: التكرار نتيجة إيجاد الدواعي له طمعاً منه في استكمال الأفكار واعتماد بعضها على بعض اخر وبذلك فإنه يتخذ من افكاره السابقة مصادر لأفكاره اللاحقة لصياغة الموضوع الذي يتناوله.

النوم: طبيعته ووظيفته استغرق 68 صفحة من الكتاب بدأه اولاً بمقدمة تمهيدية عامة عن ظاهرة النوم في علاج أمراض نفسية كالشيزوفرينيا وركز فيها على دور الجهاز العصبي المركزي للإنسان والحيوان وتأثيره في نصفي الكرة المخيين لا سيما قشرتهما المحثة بسبب عملية الكف التي تحدث للإنسان أو الحيوان وتوقف عملية الإثارة للمخ في حالة تعامل الإنسان أو الحيوان مع منبهات بيئية.

فلسفة الحكم عند الإمام

بقلم

الدكتور نوري جعفر

مطبعة الزهراء - بغداد

١٩٥٧

المحور الثاني: التكرار نتيجة التوسع في الموضوع فقد يتناول جزءاً من موضوع سابق ويطوره على شكل كتاب لاحق أو يكون التكرار عنده نتيجة الاختصار معلومات سابقة قد طرحها مسبقاً في كتاب ضخم ثم عاد فاختصرها في كتيب موجز له كما نلاحظ أن الدكتور نوري جعفر في المحورين لا يهمش مصادره بأرقام في المتن بل يتركها طليقة وهذه عادة العلامة نوري جعفر فإنه يذكر في آخر كتبه المصادر والمصادر المهمة التي اعتمد عليها في كتبه وفي ما يأتي بعض الكتب التي توضح التكرار لديه وحسب الجدول الذي ذكره الدكتور نجاح كبة:

ت	اسم الكتاب السابق	اسم الموضوع المتناول	اسم الكتاب اللاحق	اسم الموضوع المتناول
١	اللغة والفكر ١٩٦١م	اللغة والفكر	الفكر طبيعته وتطوره ١٩٧٣	اللغة والفكر ص٢٤٩ - ٢٧٤
٢	الجانب السايكولوجي في أدب الجاحظ ١٩٦٨م	الجانب السايكولوجي في أدب الجاحظ	كائنات بين الجاحظ وبرنارد شو وجائزة نوبل ١٩٩٠م	تضمن الكتاب عرضاً للجانب السايكولوجي في أدب الجاحظ
٣	الفكر طبيعته وتطوره ١٩٧٣م	أثر التفكير في الانفعالات	الأصالة في مجال الفكر والفن	بعض المضامين والتوصيات التربوية
٤	الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي ١٩٧٦	الأصالة طبيعتها الفسلجية وتطورها الاجتماعية ص١٤ - ٥٠	الأصالة في مجال الفكر والفن ١٩٧٩	آراء متنوعة في تفسير طبيعة الأصالة ص١٤ - ٣٦
٥	الفكر التربوي الاشتراكي مع آخرين [illegible]	النقد العلمي والتكنولوجي وآثاره [illegible]	النقد العلمي والتكنولوجي [illegible]	النقد العلمي والتكنولوجي وآثاره

وهذا هو جزء من المحاور التي ذكرها الدكتور العلامة نوري جعفر للسببين المذكورين آنفاً والدكتور نوري جعفر يغور في بعض العلوم الى درجة التفسيرات العميقة التي امتاز بها حتى انه تطرق للاحلام وفسرها تفسيراً علمياً منطقياً في ضوء نظريات علمية مهمة فمثلاً في كتابه طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف حيث عالج الباحث ظواهر سايكولوجية مهمة وهي النوم، الاحلام، الاضطرابات العصبية ويحتوي الكتاب على ملاحظات مهمة من خزين نوري جعفر العلمية في مجال تحليل الدماغ فسيولوجياً وسايكولوجياً بين فيها دور بافلوف في اهتمامه بالانعكاسات الشرطية وهذا المصطلح يقترن باسمه في دراساته المختبرية لنشاط الدماغ وتغييرات هذا النشاط الموضوعية الملحوظة وكشفه عن القوانين الفسلجية التي يخضع لها ارتباط الحيوان والإنسان بالبيئة المعاشية وتوصله الى خصائص النشاط العصبي ثم الى قوانين عمل المخ ثم عرج الى دراسة الامواج الكهربائية المختلفة الاطوال التي تنبعث من خلايا المخ التي بدا التعرف عليها علمياً منذ النصف الثاني في عام 1791م وفي ما يأتي لمحة سريعة عن فصول الكتاب الثلاثة:

ففي الفصل الأول: النوم طبيعته ووظيفته استغرق 68 صفحة من الكتاب بداه أولاً بمقدمة تمهيدية عامة عن ظاهرة النوم في علاج أمراض نفسية كالشيزوفرينيا وركز فيها على دور الجهاز العصبي المركزي للإنسان والحيوان وتأثيره في نصفي الكرة المخيين ولا سيما قشرتهما المخية بسبب عملية الكف التي تحدث للإنسان أو الحيوان وتوقف عملية الإثارة للمخ في حالة تعامل الإنسان أو الحيوان مع منبهات بيئية يقول د. نوري جعفر: يتعرض الدماغ اثناء اليقظة لتأثير المنبهات البيئية التي لا تحصى الأمر الذي يجعله في حالة نشاط متواصل يبلغ أرقى مستوياته لدى المخ فتحتاج خلايا المخ في هذه الحالة الى كميات كبيرة من الدم والى مقدار فائض من الهرمونات وسكر الكلوكوز الذي يمدها بالطاقة وتحتاج الى الغذاء بالطبع والاوكسجين والتخلص من الفضلات وتنعكس الحال اثناء النوم حيث تعتري الجسم تبدلات فسلجية كثيرة وكبيرة فيشعر الشخص في أول الأمر اثناء مدة النعاس المعبر عنها بالتثاؤب Yawning وهي إحدى علامات اقتراب النوم باسترخاء عام يحصل في عضلاته ابتداء وفي عضلات الرقبة حيث ينحني الرأس الى الأمام ويميل الى الخلف والجانبين والنعاس في جوهره الفسلجي هو تناقص النشاط الايجابي الذي تمارسه القشرة المخية اثناء اليقظة التامة وذلك بفعل نشوء عملية كف ضعيفة في الخلايا المخية ويفقد الشخص في هذه الحالة قدرته على تركيز انتباهه في شيء معين بالذات ويتعذر عليه الاستمرار بالعمل الذي بين يديه وتنشأ في الجسم اثناء ذلك مواد كيميائية تساعده على الانتقال بايوكيميائياً الى حالة النوم وتحجب الإثارة لمؤثرات البيئة الخارجية من الوصول الى المخ فتكثر في النوم مثلاً أملاح المغنيسيوم والبوتاسيوم في السائل المخي النخاعي وتتناقص كمية الهرمونات بالدم باستثناء الانسولين الذي تزداد كميته وتضعف القدرة على تكوين البول وإزالته وعلى تكوين العصارات المعوية وتتضاءل الحركة الدودية في الامعاء وتختفي كمية الكلوكوز من الدم كل ذلك يهيئ الجسم بايوكيميائياً للنوم (ص33 - 34) وعرج العلامة نوري جعفر على نظريات تفسير طبيعة النوم من الناحية الفسلجية وهي:-

1- نظرية تناقص كمية الدم في الدماغ وفحواها: تناقص مقدار الدم الذي يصل للدماغ ويعد عالم الفسلجة الإيطالي الاصل موسومي ابرز انصار هذه النظرية.

2- النظرية الكيمياوية Chemical theory:- وملخصها أن النوم يحدث بفعل تسمم دماغ النائم بمختلف المواد السامة toxic التي هي فضلات عملية الأيض المتجمعة في الجسم اثناء اليقظة ومواصلة العمل العضلي او العقلي وتقترن هذه النظرية باسم العالم الفرنسي بيرون إذ اخذ مصلاً من دم كلاب اصابها الإعياء وحقن بها كلاباً أخرى نشطة فاستسلمت للنوم فوراً بعد أن حقن في تجاويفها المخية بمصل منتزع من التجاويف المخية للكلاب التي حرمت من النوم لمدة عشرة أيام متتابعة.

3- النظرية التي تفترض وجود مركز دماغي مسؤول عن النوم فأصحاب هذه النظرية يفترضون وجود منطقة خاصة في الدماغ - واقعة تحت المخ - مسؤولة فسلجياً عن حدوث النوم شأنها شأن العمليات الفسلجية الأخرى ذات المراكز الدماغية المتميزة مثل التنفس والهضم والنظرية هذه ترتبط باسم هيس عالم الفسلجة السويسري وايكومو عالم الفسلجة النمساوي. فيستعرض الدكتور نوري جعفر هذه النظريات كلها ثم يطلق رأيه بالأخير حيث يتبنى الدكتور نوري جعفر وجهة نظر بافلوف في تفسير ظاهرة النوم او الذهول او النسيان فيقول (ص41) من كتابه طبيعة فسلجة بافلوف:-

لقد لاحظ بافلوف علامات النعاس والنوم بمجرد وضع الكلاب المختبرية في المساند stands واثناء تعرضها بمنبهات سلبية (قامعة يؤدي الى نشوء عملية كف في نصفي الكرة المخيين لقد رأى بافلوف أن النوم الاعتيادي المألوف هو في جوهره الفسلجي عملية كف تعتري نشاط القشرة المخية اليومي المعتاد.

وفي الفصل الثاني من الكتاب (ص93 - 154) تناول المرحوم الدكتور العلامة نوري جعفر موضوع الاحلام حيث يقول د. نوري جعفر ما نصه: ((تحدث الاحلام عندما يكون النوم خفيفاً او غير عميق بكفاية والعامل الفسلجي في ذلك - بنظر بافلوف - هو أن الحياة العقلية لدى الإنسان تستمر في حالة النوم الخفيف لدى النائم بشكل أو بآخر لأن المناطق الدماغية المسؤولة عن نشوء الاحلام الواقعة تحت المخ لم تصل إليها بعد عملية الكف ص93 اما النوم العميق الذي لا تصاحبه الاحلام فيدل فسلجياً بنظر بافلوف على أن عملية الكف قد غمرت جميع أرجاء الدماغ)) ومن الطريف في هذا المجال ما قاله الدكتور جعفر ص115 من كتابه ((يرى بعض الناس اثناء النوم كأنهم احياناً يتعرضون الى اذى جسمي موهوم ثم يعثرون على اثاره في اجسامهم عند الاستيقاظ ويشعرون ايضاً وهذا صحيح ايضاً بالألم الذي يصاحبه او ينجم عنه وتفسيره الى أن الشخص لا يتعرض اثناء النوم إلا الى الحد الأدنى من التأثيرات البيئية الخارجية للعوامل المذكورة وهذا يعني من الجهة الثانية مجال المؤثرات الداخلية (الآتية من الاحشاء ومن الذكريات المخزونة في الدماغ)) يتسع ويطغى على غيره الأمر الذي يجعل النائم شديد الإحساس مثلاً بأي ألم يعانيه في اثناء اليقظة. والفصل الثالث من كتابه يتطرق الى الاضطرابات العصبية وفيه الكثير من المعلومات المختصة لأهل الاختصاص ويفسر من خلالها الكثير من المشاكل التي تعترض الإنسان ويضع لها تفسيرات كثيرة. هذه الثقافة الموسوعية التي لدى الدكتور نوري جعفر جعلته يتنقل من حقل معرفي الى آخر فمرة نراه يتكلم وهو يعلم الفسلجة عالم مهم كبير ومرة في التاريخ وأخرى في اللغة وأخرى في النهضة والفكر، يتميز الدكتور العلامة نوري جعفر بميزة مهمة فيما يخص الماضي والتراث ويكاد يكون متقاطعاً مع الكثير من رواد النهضة في هذا المجال فهو يغوص بأعماق التاريخ ليستخرج الرمز او النخبة ويستفيد منها في بعض الجوانب ليعكسها في الحاضر ويضع طرقاً للاستفادة من الحاضر باستلهام الشخصية الرمز او النخبة وهو بذلك قد يذهب بعيداً كي يستخرج الرمز او النخبة ويعكس الجوانب المشرقة منه لاستلهامها في الحاضر وهو بذلك يتقاطع مع الكثير من مفكري النهضة وعلمائها ومنهم المفكر سلامة موسى الذي يقول أن التنويري لا يرجع لتاريخه الى اكثر من 500 سنة من الزمن.

ومثال الدكتور نوري جعفر هو كتابه فلسفة الحكم عند الإمام علي (عليه السلام) وبالتالي يعكس الدكتور نوري جعفر الجوانب السياسية في فلسفة الحكم عند الإمام علي فهو ينقل جوانب مشرقة من الحياة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) ويحاول ترسيخها في مبادئ الحاضر فيقول ما نصه ((ولتحقيق العدالة الاجتماعية من الناحية السياسية وضع الإمام شروطاً خاصة لتكوين الجهاز الحكومي او تعيين واجباته العامة تجاه الشعب والأساس الذي يرتكز عليه الجهاز الحكومي هو من الناحية الإدارية كما قال الإمام عليه السلام: